فنون بصرية

وجعه الدائم يعشش في «الربع الخالي»

يعيد التشكيلي الفلسطيني الشاب المقيم بين برلين ولندن، قراءة مكانه الاستثنائي الأوّل، بكل ما فيه من أحلام وخيبات. معرضه «الحبور وما بعده»، يغوص عميقاً في تحليل مفاهيم الهوية والانتماء والمنفى، بعيداً عن المقولات الفولكلوريّة. صور فوتوغرافيّة، أيادٍ، وأقمشة من قطن، تعيد بناء العاصمة الفلسطينية، في تحدٍّ بصري لمفهوم الإقصاء

ستيف سابيلا: القدس، لا مكان إلا القدس

نقل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي إلى فضاء سيكولوجي خاص

حازم سليمان

تأتي أعمال الفنان الفلسطيني ستيف سابيلا (القدس، 1975) من أمكنة شائكة وملتبسة. لا يزال اليقين فيها في طور التشكّل. لا يحيلنا التأمّل في أعمال هذا الفنان الشاب المقيم بين لندن وبرلين، إلى خلاصات قطعيّة، بقدر ما يضعنا أمام المزيد من الأسئلة والقناعات المركبة التي يعيشها أي فلسطيني مقدسي، بوعي مختلف. صورة سابيلا ليست حميمية، وتأخذ موقفاً من المعنى التوثيقي للصورة. إنّها محاولة لتحليل مفهومَي الهوية والانتماء من دون شروط مسبقة. الانتماء ليس مجرّد ولاء للمكان، بالمفهوم الوطني التقليدي. الصراع على الأرض ليس لاكتساب بضعة أمتار إضافية. الانتماء ليس فعلاً قسرياً قطيعياً، بل هو خيار لامحدود، فرَضَته التحوُّلات العميقة في أدوات الاتصال وانفضاح الآلية التي تحكم الصراع السياسي. لم يعد المنفى عند سابيلا فعلاً جسدياً خالصاً، فماذا عن المنفى الذهني؟

منذ مشاريعه الأولى، بدا سابيلا واعياً للفضاء المشحون الذي يعمل فيه. الانطلاق من مكان استثنائي، بكلّ ما فيه من أمنيات وأحلام وخيبات، يمكنه أن يقود العمل الفنّي بطريقة غير مباشرة إلى مقولات تقليدية ونمطية. القدس اليوم باتت حقلاً فكرياً مفخخاً: لكلّ واحد منّا قدسه التي تعنيه. لكنّها في النهاية صارت رديفاً للإقصاء والإلغاء والتحايل العلني على التاريخ. سابيلا تجاوز القدس غربية أو شرقية. قفز فوق الحميميات الصغيرة محاولاً الإمساك بمدينته كاملة. ربما كانت هذه الفكرة منطلقاً لمشروعه «القدس في المنفى» (2006) الذي قام من خلاله بتحرير المخيلات الفردية والجماعية تجاه هذه المدينة. بين المشتهى والواقع البشع، كانت النتائج سلسلة أعمال ذهنيّة تنفصل عن الواقع وتؤسس لظرف افتراضي. القدس حرة ولو في المخيّلة. سابيلا الفائز بجائزة «إيلين أورباخ» من «أكاديمية برلين للفنون» عام 2008، عايش مفهوم النفي بأشكال مختلفة، ولذلك فإنّ التغريب في تجاربه يبدو فجّاً وقاسياً، وخصوصاً عند التعامل مع هندسياته التلقائية التي تحيلنا دائماً إلى ظرف بصري شائك ومعقد. غبش الرؤية يأتي من واقع صعب ومؤلم. لم يعد النفي يأخذ بعداً اجتماعياً وإنسانياً، بقدر ما صار نفياً للجغرافيا والتاريخ، وليس فقط الأفراد والجماعات. هل يمكن أن يتعرّض المكان للنفي أيضاً؟

محاولات سابيلا المتعددة لنقل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي من شكله التقليدي إلى فضاء سيكولوجي خاص، حرره من المقولات الجاهزة التي تتعقّب الإبداع الفلسطيني. عمله الذي حمل عنوان «فلسطيني وستة إسرائيليين» يفتح الباب أمام جدل طويل حول خصوصية العلاقة بين الإسرائيلي والفلسطيني من منظور هوية الذات والآخر. وكذلك مشروعه «منتالوبيا» (2007) وهو عبارة عن بورتريهات متنوعة لفنانين من أرجاء العالم، على طوابع بريدية. في هذا العمل ينسج سابيلا خليطاً من الهويات والجنسيات التي يعيد تركيبها وتوزيعها بما يوحي بأنّ الهوية بمعناها التقليدي صارت شكلاً فولكلورياً، ولا بدّ من إعادة خلق تعريفات جديدة، ومنطقية للكثير من المصطلحات، والمفاهيم الجيوسياسية. في معرضه «الحبور وما بعده» الذي يستضيفه «غاليري الربع الخالي» في دبي حتى 11 حزيران (يونيو)، لا يغامر سابيلا كثيراً في الابتعاد عن خصوصيته البصرية، في إعادة قراءة لوجعه الوطني الدائم من خلال توليفات بصرية. تنتصر في المعرض عين المصور في التقاط تفاصيل وجزئيات بسيطة، تشبه البهجة والنشوة العابرة. للوهلة الأولى، ستبدو الأعمال غير متجانسة، لكنّها سرعان ما تضعنا أمام مَيل سابيلا إلى تحرير أعماله ولو بشكل جزئي من ذهنيتها المألوفة. نتذكر عمله الذي حمل عنوان «مخرج» (2006) وهو سلسلة صور لأيدي عجائز، صورها في أحد مستشفيات إيرلندا. الصورة هنا تهجر جمالياتها، وتتحوّل إلى وعاء لجملة من الأفكار والانفعالات المتضاربة التي يمكن القول إنّها تقوم على خدعة من نوع ما. الخدعة يمكن التقاطها في ذلك الالتباس الذي يمرّره العمل، وسرعان ما تكتشف أنّه ينقلب عليك ويأخذك إلى فضاء آخر. في عمل «النشوة» مثلاً وهو عبارة عن صور ثلاثية (طباعة لامبدا ـ 127×155 سنتم)، تبدو الصورة أقرب إلى فضاء ظليل من قمم أشجار متعانقة... ثمّ تتكشّف أمامنا تلك الشروخ والتصدعات، لتحيلنا إلى انكسارات عميقة مستترة، خلف ما يشبه الزخرفة والتجميل المفتعل.

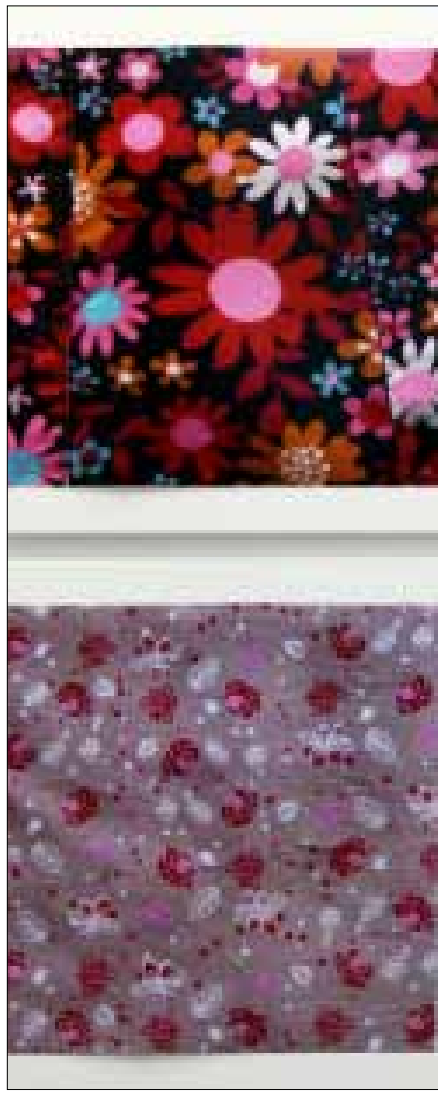

«سيسيل إيليز سابيلا» (طباعة لامبدا وحياكة على قطن ـ 110×60× 3 سنتم)

يؤسس سابيلا في مجموعة «سيسيل إيليز سابيلا» (طباعة لامبدا وحياكة على قطن ـ 110×60× 3 سنتم) لمشهدية لا تبدو مألوفة كثيراً في تجاربه السابقة. الخامات القماشية الأصليّة تحمل بين ألوانها وقطبها حنيناً مضاعفاً. الحميمية المفرطة في هذه التجارب تختلف كثيراً عن قسوة يمكن تعقّبها في أعمال سابيلا. الرهان هنا على حميمية مصدرها ألوان ونقوش وأقمشة تؤسّس لحالة صريحة من الافتقاد والخسارة.
ابتعاد سابيلا الحالي عن القدس، فتح أمامه نوافذ جديدة يطلّ منها على مفهوم المنفى. أعمال سابيلا الأخيرة صارت أقرب إلى الزمان من المكان. وهذا رهان جديد يبدو أنّ سابيلا يقتحمه في صراعه الذهني الدائم مع العلاقة في المكان.

Euphoria and Beyond: حتى 11 حزيران (يونيو) المقبل ـ «غاليري الربع الخالي» (دبي)
www.theemptyquarter.com

فنون معاصرة

«لقد نسجنا الأرض بشباكٍ من حديد»
عودة إلى الإمبراطورية عبر خط الحجاز

بمبادرة من تولين توق وإريك غوتسمان، تحلّق مجموعة فنانين من سوريا وتركيا والأردن وفلسطين حول المحطة التي بناها العثمانيون مطلع القرن الماضي

عمان ـ أحمد الزعتري

قبل افتتاح معرض «لقد نسجنا الأرض بشباك من حديد» في «محطة قطار الجيزة» (قرب مطار عمان الدولي)، تجوّل مدير المحطة بين الأعمال المعروضة. راح ينتقد «الإشارات السياسيّة»، كالإحالة إلى «اتفاقيّة رودس» للهدنة بين الأردن وإسرائيل التي سمّت خطاً حديدياً ثانياً داخل فلسطين، رسمه «من على جيب عسكريّة إسرائيليّة موشيه ديّان وعبد الله التلّ». على حسابها في «تويتر»، كتبت الفنانة الأردنيّة تولين توق، منسّقة المعرض مع الفنان الأميركي إريك غوتسمان، أن «انتقاد مدير المحطة مؤشرٌ جيّد».
في الواقع، يمكن عدّ هذا المعرض إشارة سياسية، ومحاولة لفهم معنى الحدود، عبر تتبّع مسار خط حديد الحجاز وآثار بنائه، وخرابه. يتخذ ذلك أهمية خاصة في عصر «ما بعد الكولونياليّة»، والتفكير في معاني حدود المنطقة الجغرافيّة. حاول منظّما المعرض تتبّع مسار سكّة الحديد التي بناها العثمانيون عام 1908، بهدف إيصال الحجاج إلى مكّة، ورَبْط السلطان عبد الحميد الثاني بنواحي إمبراطوريته. يحاول معرض «لقد نسجنا الأرض بشباك من حديد» إعادة بناء السكّة فنيّاً من خلال توريط عدد من الفنانين الذين يربطهم خط الحجاز جغرافيّاً: أيهم مجيد آغا (سوريا)، أسلي كفوسغلو ومحمت فحراشي (تركيا)، سمير حرب (فلسطين)، أنيس معاني وآلاء يونس وأحمد بركات وكاتب هذه السطور (الأردن)، إضافةً إلى فرانسيس آليس (المكسيك)، ونيكولا بيروجيني (إيطاليا).
في البداية، لا يمكن فصل الموقع/المحطة عن الأعمال الفنيّة، إذ اكتسبت عمقاً ستفقده لو عرضت خارجه. إضافةً إلى أنّ

> بدت الأعمال كأنها تقارع فكرة يصعب احتواؤها

رحلة الساعتين في القطار التي استمرّت ساعتين من عمّان إلى المعرض، تكوّن أحد أهم عناصر العرض. لكنّ الأعمال التي جاءت بمعظمها مفاهيميّة، لم تقبض على الفكرة الأساسيّة المقترحة بل حامت حولها، إلى درجة بدت كأنّها تقارع فكرة يصعب احتواؤها واختزالها.
في المبنى الرئيسيّ، عرض فيديو وعمل كوميكس لسمير حرب ونيكولا بيروجيني بعنوان «قصة عودة 1948»، حول أثر خط الحديد الذي اخترق قرية بتير عابراً بين القدس ويافا، بمحاذاة «الخط الأخضر»، بعدما أصبح القطار وسيلة نقل «إسرائيليّة» فقط. وفي الجوار، عرض فيديو للفنان البلجيكي المقيم في المكسيك فرانسيس آليس وهو يعيد طلاء الخطوط التي تفصل بين المسارب داخل قاعدة عسكريّة أميركيّة مهجورة في بنما. يرمقه السكّان بكسل، ويتابعون حياتهم اليوميّة، رغم محاولته استفزازهم بإعادة بناء ملامح الإمبرياليّة الأميركيّة.
أما أسلي كفوسغلو، فعرضت رسوماً تخيليّة لهدم السلطان عبد الحميد الثاني نصباً تذكاريّاً كان قد بناه الروس في مناسبة الانتصار على العثمانيين. وعلى واجهة المبنى، علّق تركيب فنيّ لمحمت فهراشي بعبارة «أفكّر بك بالعربيّة، لكن أحبك بالتركيّة»، في إشارة إلى أصوله العربيّة، لكن بطريقة تخلو من أيّ تعبير فنّي مفترض. بينما عرض أنيس معاني عمله الفني الهائل «بلا عنوان»، مستفيداً من قطع حديد غير مستعملة وجدت في الموقع. ولعلّ أكثر ما يثير الإعجاب في القطعة (طولها 8 أمتار) هو الجهد المبذول في تركيبها أكثر من أي شيء آخر، كأنّها بنيت في يوم عمل عادي لعمال بناء سكة الحديد. قد يكون أنجح ما في المعرض جزؤه التفاعلي والبحثيّ. إذ بدأ المنظمان بالتراسل مع مركز الفن الإسلامي في متحف «برغامون» في ألمانيا ـ في محاولة عبثيّة، لكنها في صلب المعرض ــ لاسترجاع واجهة قصر المشتى (شرق عمان) التي بناها الأمويون، واستبدلها السلطان العثماني بعشرة جياد.
وفي جزء من المعرض أيضاً، اعتلى الممثّل السوري أيهم مجيد آغا مقطورة مهجورة ليلقي نصّاً بعنوان «وحشة». جاء أداؤه تلقائيّاً أكثر من المفترض، والنصّ سرياليّاً أكثر من اللزوم. ربما يكمن اكتمال المعرض في نقصانه، تماماً مثل الإطار الفارغ بجوار الرسالة التي بُعثت إلى المتحف الألماني بانتظار الردّ.

«قصة عودة 1948» لسمير حرب ونيكولا بيروجيني

«لقد نسجنا الأرض بشباك من حديد»: حتى 4 حزيران (يونيو) المقبل ـ محطة الجيزة (قرب مطار عمان الدولي). www.apexart.org

إيف سان لوران
العشيق المراكشي

محمد الخضيري

حين جاء إيف سان لوران (1938 ـ 2008) وصديقه بيار برجيه (1930) إلى مراكش عام 1966، كانت مدينة تقليدية، لم تفقد بعد ذلك «السحر الشرقي» المترسخ في أذهان الغربيين. كان سان لوران يعمل إلى جانب المصمم الشهير كريستيان ديور على أقمشة بيضاء وسوداء، سادت سوق الموضة حينذاك. أمّا في شوارع مراكش، فراح يصادف رجالاً ونساءً «يخلطون بين ألوان مثيرة: وردي وأزرق وأخضر وبنفسجي. هذه المجموعة التي تظهر كأنّها ملوّنة، تذكر برسوم دولاكروا. من المدهش أن تعرف أنها ليست إلا ارتجالية الحياة»، يكتب في إحدى رسائله. هذه الارتجالية المتعددة الألوان، جعلت الرجل يعشق المدينة ويجعلها ملهمة لتصاميمه. صديق المصمم الباريسي، وشريكه في تأسيس داره الشهيرة، بيار بيرجيه يكتب: «لم نكن نعرف، إيف سان لوران وأنا (...) أن هذه المدينة (مراكش) سيكون لها دور مهم في حياتنا، وسنشتري فيها ثلاثة منازل من ضمنها فيلا ماجوريل بحديقتها الشهيرة، ولا أنّ المغرب سيصبح بلدنا الثاني». حدائق ماجوريل تحوّلت إلى قبلة لعشاق الموضة، إذ إنّها تحتضن رفات المصمم العالمي الذي غادرنا قبل ثلاث سنوات. احتضنت هذه الحدائق منذ منتصف العام الماضي، معرضاً بعنوان «إيف سان لوران والمغرب». وها هو المعرض ينتقل إلى الدار البيضاء، وتحديداً إلى «فيلا الفنون»، حيث يستمرّ حتى 17 تموز (يوليو) المقبل. يفاجأ الزائر عند مدخل الفيلا بـ«قلب إيف سان لوران»، وهو قطعة مجوهرات صممها في بداية مشواره الفني، وصارت تميمة تضعها كل العارضات، اللواتي يرتدين أقرب زي إلى قلبه خلال عروضه. في أروقة المعرض، صفحات من كتاب «إيف سان لوران، عشق مغربي» لبيار بيرجيه، ويحتوي صوراً للمصمم الباريسي، وبطاقات بريدية موسومة بكلمة «حب» تعود إلى بداية السبعينيات وأخرى إلى أواخر القرن الماضي. أُثّثت قاعات الفيلا وفق سينوغرافيا خاصة، لتقدّم أربعين عملاً لسان لوران تنوعت بين قفطان وجلابيات، وأقلام «بيك» حوّلها الفنان إلى مواد فنية... على الأزياء المعروضة يظهر شغفه بألوان الطبيعة المغربية التي دفعته إلى التخلي عن الأبيض والأسود. كذلك يظهر تأثره الواضح بالخياطة المغربية مثل الجلباب، والجابادور، والطرابيش. موعد مع ذائقة النصف الثاني من القرن العشرين، يؤكّد لنا مجدداً أن تصميم الأزياء جزء أساسي من الفنون الجميلة...

> معرض يستعيد أثر المغرب في أعمال المصمم الفرنسي الشهير

«إيف سان لوران والمغرب»: حتى 17 تموز (يوليو) المقبل ـ «فيلا الفنون» (الدار البيضاء). www.fondation-pb-ysl.ne